وبزعم الحركة ظنا منه بانه يتكلم باسمها ويقيم « المفاوضات الدبلوماسية » بصفته ممثلها في حين امتنع القادة الفعليون للصهيونية عن تفتيح عيونه على وقائع الامور فاستمر يعيش باحساس عظمته الدون كيشوتية حتى وفاته .

● ● ●

ان النظر في عواقب العم تومية لدى هرتزل واشكاله ممن اعتنقوا الصهيونية يتطلب معالجة مطولة لما ادت الصهيونية اليه من تحويل القسط الاوفر من يهود العالم الى خدمة الدول الامبريالية ومصالحها ، وهذا الموضوع يحتاج الى معالجة اطول مما تتسع لها هذه المقالة . وعلى ذلك فنكتفي بالقول بأن الصهيونية نجحت فعلا في اضعاف الحركة الاشتراكية الثورية وصرفت اعداد اليهود عنها وخاصة بعد تبني الدول الاوروبية للصهيونية بعد قيام الثورة الاشتراكية الاولى في تشرين الثاني (اكتوبر) ١٩١٧ في روسيه مباشرة . وبعد ذلك تحولت جموع اليهود في الغرب عن موقفها الراديكالي الى موقع واضح متمثل بمنطلق العم توم اليهودي والذي يجد افضل تعبير عنه في دولة اسرائيل اليوم التي تتفانى في خدمة المصالح الامبريالية في حين انها تمني نفسها بالقول بانها انما تقوم بذلك دفاعا عن بقائها .

اما عواقب الدون كيشوتية فيمكن معالجتها في شخصية الصهيونية والدولة التي انشأتها في فلسطين بالاشارة الى مزاعم « المنجزات والمعجزات الجبارة » التي حققتها هذه الحركة في اقوالها عن «صراعها ضد الطبيعة» لاستصلاح الصحاري وتجفيف المستنقعات في بلاد ليست اصلا شبيهة بالمناطق الصحراوية فيها وليس فيها الاراضي الشاسعة التي تغرقها المستنقعات . ولكن ما دمنا في صدد هرتزل على المستوى الشخصي . فلا حاجة لنا لمعالجة عواقب هذه العقدة على هذا المستوى الجماعي الاسطوري ، كما لا حاجة لتقييمها على المستوى السياسي البعيد الامد ، بل قد يكون من المناسب ايرادها باختصار على المستوى الفردي العائلي المصغر الذي طرحت به في مذكرات هرتزل نفسه وعلى الرغم من ان ذلك قد يبدو انه من باب الشماتة ، فان مثل هذا التقييم الفردي لا بد ان يتناول ما حل باحلام العظمة التي ارتقبها هرتزل لنفسه ولاقربائه . فقد نجح هرتزل في ان يصبح ، ولو اسميا فقط ، زعيم الصهيونية . الا انه بالطبع لم يصبح رئيس الدولة الاريستوقراطية التي فصل رؤيته لها ، كما انه لم يعش ليشهد تنظيم كتائب العمال والجيش الاريستوقراطي والمبارزات الشجاعة فيه . وقد توفي ابوه عام ١٩٠٤ ولم يصبح السناتور الاول في مجلس اريستوقراطية الدولة . وتوفي هرتزل بعد ذلك بقليل وهو يهذي في فراش المستشفى عن شراء المناطق هنا وهناك ظنا منه انه يعطي اوامره الى مرؤوسيه . وزوجة هرتزل توفيت بعد ذلك بثلاثة اعوام . اما ابناؤه ، فلم يهاجر احد منهم الى فلسطين . فابنته بولين ، توفيت في بوردو عام ١٩٣٠ . وابنه هانز الذي كان هرتزل يأمل بان يتوجه اميرا في دولة المستقبل ، لم يرث حماسة ابيه للصهيونية ، بل يبدو انه ورث عقدة الانتماء لليهودية لديه ، فاثار ضجة عندما اعتنق المسيحية وانتحر بعد وفاة اخته بفترة وجيزة . وابنة هرتزل الثانية ، ترود ، فقد لقيت حتفها في مخيم اعتقال نازي خلال الحرب العالمية الثانية فكانت بذلك واحدة من جموع اليهود الذين « خسروا اوطانهم التي اقاموا فيها قبل الحصول على الدولة اليهودية » . وابنها الوحيد ، ستيفن ، مات بطريقة غامضة حين « سقط » من بناية عالية في العاصمة الاميركية واشنطن في عام ــ انتهاء الحرب العالمية الثانية ــ ١٩٤٥ . وبهذا لم يبق من ذرية هرتزل احد « ليفخر بالمشروع العظيم الذي ابتكره» . . . هذه هي المأساة الشخصية لثيودور هرتزل والعقدة النفسية التي ولدتها فشكلت افضل انعكاس فردي للعقدة الجماعية التي ادت الى نشوء الصهيونية والمآسي الاليمة التي نتجت في فلسطين على